كاظمـــــة

« بقية ما نشر فى العدد الماضى »

« الفرزدق كويتى ! ! »

« الفرزدق كويتى ! ! »

نعم إنه كويتى قبل الكويتيين .

الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة من مشاهير الشعراء وهو علم من أعلام الأدب العربى ، ويقال إن شعر الفرزدق حفظ ثلث اللغة العربية ، إذ لو لا شعره لضاع الشىء الكثير من اللغة . وقل من لم يقرأ منا للفرزدق شىء من الشعر قل أو كثر ، وأمر مهاجاته مع جرير — وكلاهما من تميم — مشهور . إذ دامت هذه المهاجاة قرابة الأربعين عاما شغلت قصائدهم خلالها جميع أندية الأدب وحلقات دراسته فى جميع البلاد العربية ، وكانت الركبان تحمل هذه القصائد إلى جميع أنحاء الجزيرة العربية . والرواة تتهافت على رواية هذه القصائد ، واعتنى علماء اللغة العربية بها أيما اعتناء . فألفوا فيها الكتب المشهورة ، تلك الكتب التى أفادت الأدب العربى أيما إفادة . كـكتاب النقائض لابى عبيدة .

إن كاظمة القريبة منا هى الموضع الذى اختاره الفرزدق محلا لسكناه — وربما ولد فيها — ففيها نظم أكثر قصائده الخالدة ، وفيها كانت ترده قصائد جرير ، فيها الهجاء الفاحش فيرد الفرزدق عليها بما هو أفحش منها ، فحلان يتصاولان والعرب قاطبة تستصيخ لسحر بلاغتهما .

كاظمة موطن الفرزدق الأول لا يبارحها إلا فى أيام الربيع ، حيث يرتاد العشب فى المناطق القريبة من كاظمة مثل (الفريده) و (الساده) و (الرحيّة) وهى مواضع تقع فى الغرب من الجهرة ، وهى قريبة من الكويت وداخل حدودها .

فبنوا تميم وهم قوم الفرزدق يقطنون المنطقة التى يحدها من الشمال كاظمة ومن الجنوب (انطاع) ومن الغرب الدو (الدبدة) ومن الشرق العدان . وكانت مجاشع وهى فخذ من تميم ، وعلى الأخص بنو دارم وهم قوم الفرزدق ، يقطنون المنطقة الواقعة بين كاظمة والبرقان .

وكان الفرزق بالذات يسكن كاظمة وما جاورها ، ومن يدرى لعله نزل فى يوم من الأيام على أحد المياه الواقعة فى منطقة مدينة الكويت بالذات كابى (دواره) أو (الدمنة) أو (الرأس) وأنا أعتقد أن هذه المياه لم تكن مجهولة لدى العرب القدماء ، وربما عرفوا عنها أكثر مما نعرفه نحن اليوم .

وقد غزت شيبان وهى من أشهر القبائل العربية ، بنى تميم على ماء كاظمة تريد الاستيلاء عليه فهزمهم بنو تميم ، وصدوهم عنه وفى هذه الوقعة يقول الفرزدق مفتخراً :

لقد رجعت شيبان وهى أذلة
خزايا ففاضت فى الوثاق وفى الأزل
وكان لها ماء الكواظم غرة
وحرب تميم ذات خبل من الخبل
فما رحتم حتى لقيتم حماتكم
وآب مولوكم فراراً من القتل

والفرزدق فى الحجاز حين يذهب للاستنجاع — وهو مكرم فى كل بلد يحل فيه أما لشهرته وعلو كعبه فى الشعر ، وأما خوفا من شطحات لسانه — يرى نفسه غريباً عن أول أرض مس جلده ترابها ، فتراه يتحرق شوقا إلى كاظمة موطنه المحبب إلى نفسه ، فلا تسليه عنه نعم الحجاز ولا ما يقدمه له ولاته من انعام وإكرام فيقول :

تحن بزوراء المدينة ناقتى
حنين عجول تبتغى البوراتم
فيالیت زوراء المدينة أصبحت
بأعفار فلج أو بسيف الكواظم

وقد كان جرير وهو عدو الفرزدق الألد ، يعير الفرزدق بسكناه كاظمة فيقول :

فإن وكيعاً حين خارت مجاشع
كفى شعب صدع الفتنة المتفاقم
لقد كنت فيها يا فرزدق تابعاً
وريش الذنابى تابع للقوادم

ندافع عنكم كل يوم عظيمة
وأنت قراحى بسيف الكواظم

فيرد الفرزدق عليه بقصيدة غراء جاء فيها :

وما علم الأقوام مثل أسيرنا
أسير ولا أجداثنا بالكواظم

ويعنى الفرزدق بقوله ولا أجداثنا بالكواظم قبر أبيه غالب بن صعصعة ، وغالب من أجواد العرب . وله قصص تكاد تكون جنونية فى الكرم ، وقبره الذى يعنيه الفرزدق فى « امقره » الموضع القريب من الكويت والذى يقع بين الجهراء والكويت وسيأتى بحث ذلك .

وكانت المساجلات الشعرية التى تقام فى كاظمة والتى ينشد كبار الشعراء فيها قصائدهم المشهورة كثيرة ، سجل لنا التاريخ منها شيئاً وأهمل أشياء . فكان من أبطال هذه المساجلات ذو الرمة والحطيئة وغيرهم وإليك بعض ذلك .

قال أبو الفرج صاحب كتاب الأغانى فى كتابه جزء ١٦ صفحة ٢٢ . قال الضحاك الفقيمى بينما أنا بكاظمة وذو الرمة ينشد قصيدته التى يقول فيها

أحين أعاذت بى تميم نساءها
وجردت تجريد اليمانى من الغمد
ومدت بضبعى الرباب ومالك
وعمرو وشالت من ورائى بنو اسد
ومن آل يربوع زهاء كأنه
دجى الليل محمود النكاية والورد
وكنا إذا الجبار صعر خده
ضربناه فوق الأنثيين على الكرد

إذا راكبان تدليا فى نعف كاظمة ، متقنعان فوقفا فلما وقف ذوالرمة حسر الفرزدق عن وجهه ، وقال يا عبيد اضممها إليك « وعبيد هذا راوية الفرزدق » فقال ذو الرمة نشدتك الله يا أبا فراس . فقال الفرزدق دع ذا عنك فجعلها الفرزدق فى إحدى قصائده وتخلى عنها ذو الرمة .

وهذه الأبيات الأربعة جعلها الفرزدق ضمن قصيدة له هجا فيها جندل وعم قيساً ومطلعها .

أتوعدنى قيس ودون وعيدها
ثراء تميم والعوادى من الأسد

وجهة نظر

سألنى أحدهم بالأمس قائلا .

لقد جمعت بعض المال خلال هذه السنوات الماضية ، ولى فلذة كبد تسير على هذه الأرض ، وغايتى فى الحياة هى ضمان مستقبل هذا الصبى .

فإنى له أتعب ، ومن أجله أكد وأشقى .

فهل تشير على بشراء بيوتات هنا ، أوفدادين من الأرض هناك ، أو أسهم وسندات من هنا وهناك ؟

فأجبته . إن بذل بعض هذه الدراهم فى ميدان تعليم صبيك . لهو خير وأبقى ألف مرة من أن تترك له أوراق هذه البيوتات ، أو تلك الفدادين !

ففى هذه الثانية تكون الدراهم قد بذلت فى شىء ثابت دائم . فهى باقية مابقى على قيد الحياة .

أما الأخريات ففانيات حتما إن أسرف فى يوم ما ، وأسلم نفسه لقيادها .

وسيذكرك والمجتمع إن قمت بالثانية ، وسينساك الجميع إن حاولت الأولى .

وفى الحياة شواهد وعبر ، لمن يتعظ ويعتبر .

فاختر ماتشاء . فأنت الباذل المستشير .

سأهدى لعاوى قيس عيلان إذ عوى
لشقوته احدى الدواهى التى اهدى

إلى أن قال تمهيداً لأبيات ذو الرمة الأربعة

شدخت رؤوس النابحين وحطمت
جماجمهم مرداة قوم بها أردى

أحين أعاذت بى تميم نساءها
الخ الأبيات الأربعة .....

وبعد فإن يعتز القارىء الكويتى بمواطنه الفحل — الفرزدق — فسيرى فى بحوث قادمة أن موطنه كان له شأن كبير فى التاريخ ، وعلى أرضه تجلت صحائف كثيرة هامة فيها الممتع من الحوادث والغريب من الوقائع التاريخية المعروفة لم تذكر فيها الكويت لحداثتها .

الكويت أحمد البشر